محمد عبدالظاهر الطيب
❖ ندوة علم النفس، القاهرة، 1989م.
❖ أبحاث ندوة علم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1413هـ/1993م، ص294–317 [23 صفحة من القطع المتوسط].
❋ لغة البحث (الكتاب): اللغة العربية.
❋ مجال البحث (الكتاب): التراث النفسي الإسلامي.

❑ ❑ ❑

يبدأ الباحث بالتعريف بالماوردي وعصره وكتبه، ثم يدلف إلى رؤية الماوردي للإنسان حيث يراه مدنياً بطبعه، وأن الإنسان أكثر حاجة لها من جميع الحيوانات، وبسببها فهو مفتقر إلى جنسه. كما يرى الماوردي أن الطغيان سمة في الإنسان إذا استغلب، إلا أن ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من الطغيان. كما يدعو الماوردي من جهة أخرى إلى التوازن بين أمور الدنيا وأمور الدين وإلى الأخذ من الدنيا بنصيب، حيث صلاح الدنيا يكون من وجهين:

- ما تنظم به أمور الدنيا في جملتها.
- ما يصلح به حال كل واحد من أهلها.

وأن استعانة وضع الناس في الدنيا تستدعي صلاح الوجهين معاً.

❋ ثم يدخل الباحث في مفهوم صلاح حال الدنيا الذي يحدد له الماوردي ست قواعد:

- دين متبع، فالدين يصرف النفس عن أهوائها ورقيب عليها في خلواتها
- سلطان قاهر، فالنفس طبعت على حب المغالبة والمنافسة فلابد من سلطان يردع المخطئ ويحافظ على الضعيف
- العدل الشامل، لأن العدل يدعو إلى الألفة والطاعة وأمانة السلطان
- أمن عام، لكي تطمئن النفوس فيسكن البريئ ويأنس الضعيف وينطلق الناس آمنين إلى مصالحهم
- خصب دائم، يتسع لجميع الناس في الأمة فيقل الحسد وينتفي التباغض

- الأمل الفسيح، فيترك السابق للّاحق السكن والحرث فيكمل الثاني عمارتها

ويقارن الباحث بين هذه القواعد الست للماوردي لصلاح الدنيا وبين قواعد أرسطو فيذكر أن الماوردي أضاف قواعد: الخصب الدائم والأمن العام والأمل الفسيح لقواعد أرسطو ليمتد فكره - أي الماوردي - ليشمل صلاح الحاضر والمستقبل معاً.

* وبعد صلاح الدنيا يأتي الباحث على صلاح الإنسان ليذكر للماوردي قاعدتين فيه، القاعدة الأولى وهي من شقين:

- نفس مطيعة، فيها النصح (إستحسان الحسن واستقباح القبيح) والإنقياد (السرعة إلى الرشد والإنتهاء عن الغي)
- الألفة الجامعة، فمتى ما كان الإنسان آلفا مألوفاً انتصر بالألفة على أعدائه. ويحصر الماوردي أسباب الألفة في: الدين، النسب، المصاهرة، المودة، البر.

ثم يقارن الباحث ما جاء به الماوردي مع ما ذهب إليه بعض علماء النفس المحدثين في هذا المجال.

القاعدة الثانية: المادة الكافية من زراعة وتجارة وصناعة وإنتاج حيواني... إلخ، ويجعل الماوردي صناعة الفكر أشرف الصناعات.

* ويأتي الباحث بعدها على مفهوم «العقل» عند الماوردي، حيث يراه أسُّ الفضائل وينبوع الآداب وأصل الدين وعماد الدنيا فأوجب التكليف بكماله.

والعقل عند الماوردي علم بالمدركات الضرورية وهو عقلان:

- عقل غريزي يقوم بإدراك كل ما يقع عن طريق الحواس
- عقل مكتسب ينمو إذا استعمل وينقص إذا أهمل

ويكون نماء العقل من جهتين:

- كثرة استعماله وكثرة تجاربه

- فرط الذكاء

وأن العقل يمنع الإنسان من الإقدام على شهواته إذا قبحت كما يمنع العقال الناقة من الشرود إذا نفرت ولذلك سمي عقلاً. وأن زيادة العقل فضيلة لأن المكتسب غير محدود، وإنما تكون الزيادة منه زيادة علم بالأمور وحسن إصابة بالظنون (لا يوافق الماوردي حالة تفضيل التوسط في هذا الباب).

* ثم يتكلم الباحث عن الدوافع الغريزية عند الماوردي والتي سماها (الهوى) الذي يصد عن الخير ويضادد العقل. ولأن الهوى سبيل المهالك فقد جعل العقل رقيباً مجاهداً عليه: يلاحظ غفلته ويدفع بادرة سطوته، وخداع حيلته:

- فإن قوي سلطان الهوى بكثرة دواعيه واستولت على الإنسان غلبة الهوى والشهوات كلَّ العقل عن دفعها وضعف عن منعها مع وضوح قبحها
- وإن أخفى الهوى مَكْرَه حتى تتموه أفعاله فيتصور القبيح حسناً والضرر نفعاً، فإن ذلك إما أن للنفس ميلاً لذلك الشيء فيخفي قبحه وإما استثقال الفكر في تمييز ما اشتبه ويطلب الراحة في اتباع ما يسهل.

(يضرب الباحث أو يقارن مقولات الماوردي بنصوص معاصرة في علم النفس)

* ثم يطرح مفهوم (التعلم) عند المادروي الذي يرى أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب وأفضل ما طلب وجدّ فيه الطالب وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب.

ويرى الماوردي أن إمتناع الإنسان عن العلم إما لكبر سنه (وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل) وما لتعذر المادة (وهنا عليه أن يصرف للعلم حظاً من زمانه) وإما ما يظنه من صعوبته وبعد غايته (وهذا اعتذار أهل النقص وضيقة أهل العجز).

* أما دوافع التعلم عند الماوردي (والتي يسميها بواعث) فهي إما رغبة في ثواب الله سبحانه وتعالى طلباً لمرضاته وحفظاً لمفترضاته، وإما رهبة من عقابه

لترك أوامره وإهمال زواجره. ومتى ما اجتمعت الرغبة والرهبة معاً أدتا إلى كنه العلم وحقيقة الزهد:

- فالرغبة أقوى الباعثين على العلم
- والرهبة أقوى الباعثين في الزهد

* أما شروط التعلم فإن الماوردي يشترط لطالب العلم: العقل والذكاء والفطنة والوقت من غير أمراض وهموم تمنع عنه، ثم يضع - الماوردي - تسعة شروط يجب أن تتوفر في طالب العلم.

* أما التذكر والحفظ عند الماوردي فإن كل كلام مستعمل عنده هو أما لفظ كلام يعقل بالسمع أو معنى يفهم بالقلب، فإذا عقل الإنسان الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه.

أما صعوبات التعلم فهي أما صعوبة فهم أو صعوبة حفظ (ويدخل الباحث في ذكر نصوص مطولة من كتابات الماوردي في صعوبات التعلم وأسبابه أو علاّته وما ينبغي على المتعلم القيام به حيالها).

* بعد ذلك يأتي مفهوم التربية وتعديل السلوك عند الماوردي حيث يرى أن النفس الإنسانية لاتنقاد إلا إلى الأحسن بالطبع، ولأن لكل مجتمع أخلاقه التي تواضع عليها من جهة، ولا يمكن أن يترك تأديب النفس لعقل صاحبه من جهة ثانية، فلا بد من التهذيب والتأديب. فالإنسان بحاجة مستمرة إلى الإرشاد والتوجيه صغيراً وكبيراً على حد سواء.

أما كيف يؤدَّب الإنسان فان الماوردي يقسِّم الأدب اللازم له إلى أدبين:

- أدب مواضعة واصطلاح (ماتفق عليه العقلاء واستحسنوه) وفيه سبع خصائص: الكلام والصمت، الصبر والجزع، المشورة، كتمان السر، المزاج والضحك، الطَيَرة والفأل، المروءة (يذكر الباحث شروط وتفصيل الماوردي لكل خاصية من الخواص السبع).
- وأدب رياضة واستصلاح (ما اتفق العقلاء على صلاحه أو فساده)، وفيه

ست خصائص: مجانبة الكبر والإعجاب، حسن الخلق، الحياء، الحلم والغضب، الصدق والكذب، الحسد والمنافسة.

❑ ❑ ❑

عناوين رئيسة:

التربية عند الماوردي، التعلم وطلب العلم عند الماوردي، التربية والتعلم في التراث الإسلامي.

❑ ❑ ❑

ملاحظات:

- جاءت الورقة في معظمها على نصوص في عناوين نفسية وتربوية مختلفة عن بعضها، أي لا ترتبط مع بعضها الآخر أحياناً. لأن الورقة هدفت إلى عرض «آراء نفسية للماوردي» ومن هنا لا يلزم وحدة المصطلحات مادامت الورقة تتعرض لآراء نفسية (بعمومها الشامل) للماوردي.
- إلا أن للماوردي نظرية شبه متكاملة عن التربية والتعليم وأن القاعدة التي فرشها الماوردي للتربية وللتأديب قاعدة إسلامية نفسية رائعة. ومن هنا كان يمكن أن ينظر إلى هذه القاعدة النفسية بكل إطارها الإسلامي لتعطي الصورة الكاملة لنظرية الماوردي عن التربية بدِل إجتزاء مفهومٍ من هنا وآخر من هناك.
- الكثير من النصوص التي نقلها الباحث عن الماوردي كانت نقلاً غير مباشر (من مصدر آخر هو كتاب: أبو الحسن الماوردي، تأليف محمد سليمان داود وفؤاد عبد المنعم/ 1978). ورغم موضوعية الباحث وأمانته في النقل إلا أنه كان من الأفضل - برأيي - الرجوع إلى المصادر الأساس، أي كتابات الماوردي ذاته.

❑ ❑ ❑